

# التعليم

من أداة للصراع إلى أداة للسلام والعيش المشترك

حقوق الإنسان أساس لحماية وتحسين التعليم

تمّوز – يوليو 2020

منظمة العدالة من أجل الحياة  
Justice for Life Organization



المنتج: تقرير حقوقي

العنوان الرئيسي: التعليم من أداة للصراع إلى أداة للسلام والعيش المشترك

الناشر: منظمة العدالة من أجل الحياة

تاريخ النشر: 20 تمّوز/يوليو 2020

اللغة: العربية - الإنكليزية

جميع الحقوق محفوظة لمنظمة العدالة من أجل الحياة ©

يتجدد النقاش حول المناهج التعليمية في سورية وحول ما يجب أن يتضمنه، ومدى تقبل المجتمع المحلي له. الاتفاقيات والمعاهدات الدولية تؤكد على الحق في التعليم وتحميه من الانحرافات التي قد تطاله خاصة في المناطق التي تشهد نزاعات مسلّحة.

إن تجارب العديد من الدول سواء التي شهدت نزاعات أو التي خضعت مناهجها للمراجعة تؤكد بما لا يدع مجالاً للشك إمكانية أن تكون المناهج ملائمة للمجتمعات المحلية مع التزامها بنفس الوقت بمبادئ حقوق الإنسان وسعيها لتشكيل هوية وطنية جامعة ودورها في بناء السلام وغرس قيمة التسامح وتنمية ثقافة الحوار ووضع الأرضية للعيش المشترك وتكريس الحريات الأساسية.

# التعليم

## من أداة للصراع إلى أداة للسلام والعيش المشترك

### حقوق الإنسان أساس لحماية وتحسين التعليم

"في كل زمان ومكان، كان هناك ثقافة أقلية وثقافة أغلبية، ثقافة سائدة وأخرى مَسُوذَة، مهيمنة ومهيمن عليها. ولا بد من وضع حد لسلم التفوق الوهمي في العلاقة بين الثقافات والتأكيد على الحق الكامل لكل منها في الوجود والتقدم عبر أولوياتها الخاصة وتفاعلها مع غيرها"<sup>1</sup>.

#### مقدمة

منذ أكثر من خمس عقود فُرضت على السوريين مناهج دراسية تعبر عن آراء السلطة الحاكمة ورؤيتها للدين والوطن والتاريخ، وتساهم حالياً دول داعمة للحكومة السورية في إدخال [تعديلات](#) على المناهج وفق [مذكرات](#) تعاون رسمية. ومع تشكل جماعات المعارضة المسلحة وسيطرتها على مساحات واسعة من الأراضي السورية بعد العام 2011، كان التعليم واحد من أبرز مواضع الجدل بين داعٍ إلى وقف اعتماد مناهج الحكومة السورية، وآخر مطالب باستمرار العملية التعليمية على ماهي عليه، وبين من اقترح إدخال تعديلات عليها.

خلال هذه الفترة، تعرضت المدارس لهجمات عسكرية عديدة من قبل أطراف النزاع، مما أجبر الأهالي على الامتناع عن إرسال أبنائهم إلى المدارس خوفاً على حياتهم. لم تقتصر الهجمات فقط على القصف بالأسلحة الثقيلة أو تواجد مقار عسكرية قريبة من المدارس، بل أيضاً تعرّضت العديد من المدارس في مناطق سورية مختلفة إلى اقتحامات من قبل عناصر مسلحة طالبت بوقف العملية التعليمية.

عملت هيئات المعارضة على تأمين استمرار التعليم في المناطق التي سيطرت عليها، وذلك باعتماد مناهج معدلة، وتوفير الدعم المالي لتمكين استمرارية عمل المؤسسات التعليمية، خاصة في مناطق سيطرة الجيش الوطني التابع للمعارضة المسلحة -حيث

تشرف الحكومة السوريّة المؤقتة على سير العملية التعليمية- كما تمّ [افتتاح](#) فرع لجامعة غازي عينتاب التركية في كل من مدينة الباب ومدينة اعزاز ومدينة عفرين. في حين ظلّت باقي المناطق عاجزة عن توفير الحد الأدنى من الحق في التعليم في الوقت الذي لا يستطيع فيه آلاف [الطلبة](#) من التّوجه إلى المناطق الحكومية لمتابعة تعليمهم وذلك لأسباب إما أمنيّة أو ماديّة.

برز دور منظمات المجتمع المدني في دعم الحق في التعليم من خلال إعادة تأهيل المدارس، ودعم توظيف مدرسين، وتأمين المستلزمات الدراسيّة، إذ تعتمد المناطق الخارجة عن سيطرة حكومة دمشق في تسيير عمل المؤسسات التعليمية على جهود هذه المنظمات بالتعاون مع المجالس المحلية والمدنية.

شكل التعليم أحد الأهداف الرئيسية للمجموعات المتطرفة التي ظهرت في سوريا، وذلك لتمكين سيطرتها على هذه المناطق، لما للتعليم من دور أساسي في تطويع السكّان المحليين شأنه شأن الأرض والموارد. خلال سنوات سيطرة تنظيم الدولة على مناطق سوريّة، أصدر التنظيم مناهج تعليمية وفرضها على المدارس والمدرسين، كما فرض "دورات استنابة" على المعلّمين العاملين في مؤسسات الحكومة ليكونوا قادرين على إعطاء المناهج الجديدة للطلبة. المناهج دعت بشكل صريح [للعنف](#) والتمييز والدعوة إلى الانخراط في القتال في صفوف هذه المجموعات.

في فترة حكم التنظيم توقفت العملية التعليمية الحكومية تماماً، ولم تلقى دعوات الالتحاق بالمدارس استجابة واسعة من قبل الأهالي لسببين رئيسيين: أولهما الخشية من استهداف المدارس من قبل القوات الحكومية وحلفائها، أما السبب الثاني فهو الرفض واسع النطاق لتدجين الطلبة وفق رؤية التنظيم وما قد يترتب عليه من تجنيد الطلبة في صفوفه.

كذلك، طرحت الإدارة الذاتية [مناهج](#) في مناطق سيطرة قوات سوريا الديمقراطية تتضمن فلسفة حزب الاتحاد الديمقراطي، شكّلت استمراراً لنمط التفكير [المهادف](#) إلى توجيه المجتمع وأدلجته، وفرض رؤية وحيدة عليه، واجه هذا الطرح اعتراضات من قبل طيف واسع من الفعاليات المدنيّة وذلك عبر بيانات أكّدت على ضرورة وضع مناهج تناسب ثقافة المجتمع المحلي.

يدرس الطلبة السوريون الآن مناهج مختلفة وفق مناطق تواجدهم والجهة المسيطرة، كما يلجأ بعضهم للتعليم المنزلي لعدم جاهزية المدارس وكفائها.

## كيف تتناول أبرز المعاهدات والاتفاقيات الدولية والإقليمية الحق في التعليم؟

تنص المعاهدات والاتفاقيات الدولية والإقليمية على الحق بالتعليم، وضرورة توفيره في كافة الظروف بما في ذلك أثناء النزاعات المسلحة. الإعلان العالمي لحقوق الإنسان والعهد الدولي، والبروتوكولين الإضافيين، ومعاهدة حقوق الطفل، واتفاقية اليونسكو بشأن مكافحة التمييز في التعليم وغيرها أكدت على دور التعليم في تعزيز "التفاهم والتسامح والصداقة بين جميع الأمم وجميع الفئات العنصرية أو الدينية"<sup>2</sup>، كما تم وضع التعليم كأحد أهداف التنمية المستدامة للعام 2030.

تقسّم العناصر الأساسية التي يتكون منها الحق في التعليم في الكلمات الأربع: التوافر وإمكانية الالتحاق وإمكانية القبول وقابلية التكيف.

في تعليقها على المادة (13) من العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، تقول لجنة الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية "بوجود توافر مؤسسات وبرامج تعليمية بأعداد كافية، وحددت المتطلبات الأساسية التي يجب أن تتوافر كحد أدنى: المباني أو أشكال الوقاية الأخرى من العوامل الطبيعية، المرافق الصحية للجنسين، المياه الصالحة للشرب، المدرسين المدربين، مواد التدريس. إضافة إلى وجود توافر إمكانية الوصول إلى المدرسة من الناحية المادية والاقتصادية. وأكدت اللجنة الحاجة إلى محتوى تعليمي ملائم من الناحية الثقافية للفئات التي تواجه خطر الاستبعاد، وأن يتسم التعليم بالمرونة لتلبية حاجات المجتمعات والمجموعات المتغيرة بما في ذلك الحاجة إلى التكيف مع المعارف العلمية الحديثة واحتياجات الطلاب في محيطهم الاجتماعي والثقافي المتنوع"<sup>3</sup>.

تتضمن اتفاقية اليونسكو لمكافحة التمييز في مجال التعليم الصادرة في 14 كانون الأول/ديسمبر 1960 "توجه التعليم نحو تنمية الشخصية البشرية تنمية كاملة، ونحو تعزيز الاحترام المتبادل تجاه حقوق الإنسان والحريات الأساسية، وحرية الأهل في اختيار تعليم أولادهم بما يتوافق مع مبادئهم الأخلاقية ومعتقداتهم الدينية". يهدف التعليم إلى "تنمية شخصية الطفل ومواهبه وقدراته العقلية والبدنية"<sup>4</sup> واحترام هوية الطفل "الثقافية ولغته وقيمه الخاصة، والقيم الوطنية للبلد الذي يعيش

<sup>2</sup> الإعلان العالمي لحقوق الإنسان. المادة (26) الفقرة (2)

<https://www.un.org/ar/universal-declaration-human-rights/index.html>

<sup>3</sup> حماية التعليم في ظروف انعدام الأمن والنزاعات المسلحة - دليل قانون دولي من ص (84) إلى ص (88)

<sup>4</sup> اتفاقية حقوق الطفل. المادة (29) الفقرة (1) (أ)

[https://www.unicef.org/arabic/crc/files/crc\\_arabic.pdf](https://www.unicef.org/arabic/crc/files/crc_arabic.pdf)

فيه الطفل والبلد الذي نشأ فيه في الأصل والحضارات المختلفة عن حضارته<sup>5</sup>. للمرأة الحق في المساواة مع الرجل في ميدان التربية "والالتحاق بالدراسات والحصول على الدرجات العلمية في المؤسسات التعليمية على اختلاف فئاتها، والتساوي في المناهج الدراسية وفي الامتحانات وفي مستويات مؤهلات المدرسين"<sup>6</sup>.

كما توصي مبادئ [طليطلة](#) التوجيهية بشأن تدريس الأديان والمعتقدات في المدارس العامة بتقديم دروس الدين وفق منهج أكاديمي، والتأكيد باحترام الآخرين ، والاعتماد على مدرّسين يحترمون الحريات الدينية، مراعاة المناهج لوجهات النظر الدينية وغير الدينية بشكل منصف ويقوم على الاحترام<sup>7</sup>.

يجب "أن تعطي كتب التاريخ وغيرها من المواد التعليمية وصفاً عادلاً ودقيقاً ومستنيراً ل مجتمعات وثقافات الشعوب الأصلية بهدف القضاء على أي أحكام مسبقة خاطئة ضد هذه الشعوب"<sup>8</sup>.

"يجب أن يتلقى الأطفال التعليم، بما في ذلك التربية الدينية والخلقية تحقيقاً لرغبات آبائهم أو أولياء أمورهم في حال عدم وجود آباء لهم"<sup>9</sup>.

في نطاق الحفاظ على حقوق الإنسان يهدف التعليم إلى " النهوض بالأخلاقيات العامة والقيم التقليدية التي يعترف بها المجتمع وحمايتها"<sup>10</sup>.

5 المصدر السابق. المادة (29) الفقرة (1) (ج)

6 اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة. المادة (10) الفقرة أ والفقرة ب.

<https://www.ohchr.org/AR/ProfessionalInterest/Pages/CEDAW.aspx>

7 تقرير الأزمة الخفية.. النزاعات المسلحة والتعليم. ص (244).

<https://ar.unesco.org/gem-report/node/443>

8 الاتفاقية رقم 169 بشأن الشعوب الأصلية والقبلية في البلدان المستقلة والتي اعتمدها المؤتمر العام لمنظمة العمل الدولية عام 1989 - المادة (31).

<http://hrlibrary.umn.edu/arab/h063.html>

9 البروتوكول الإضافي الثاني الملحق باتفاقيات جنيف- المادة (4) الفقرة (3) (أ).

<http://hrlibrary.umn.edu/arab/h095.html>

10 الميثاق الأفريقي لحقوق الإنسان والشعوب. المادة (17) الفقرة (3).

<http://hrlibrary.umn.edu/arab/a005.html>

بعض الاتفاقيات الإقليمية أكدت على القيم والثقافات التقليدية المحلية، إذ أنّ التعليم يوجه الطفل نحو "تشجيع احترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية، والمحافظة على تقوية الأخلاقيات والقيم التقليدية والثقافات الإفريقية الإيجابية، وإعداد الطفل لحياة المسؤولية في مجتمع حر تسوده روح التفاهم والتسامح والحوار والاحترام المتبادل والصدقة بين كافة الشعوب والجماعات العرقية والقبلية والدينية"<sup>11</sup>. كما تحترم الدول الأطراف "حقوق وواجبات الآباء والأوصياء القانونيين في اختيار مدارس أطفالهم غير تلك التي تنشئها السلطات العامة والتي تتفق مع أدنى المقاييس التي تقرها الدولة، لضمان التعليم الديني والأخلاقي للطفل بالحد الذي يتناسب مع قدرات الطفل"<sup>12</sup>.

## تجارب دولية في مجال التعليم

تصميم المناهج في النزاعات وما بعدها واحدة من أعقد المهام على المختصين، يمكن للمناهج أن تساعد في تقريب المكونات المجتمعية، وتعمل على إزالة أسباب خلافية كثيرة، كما أنها تساهم في عملية بناء السلام. على أن المناهج نفسها يمكن أن تزيد من حالة الشقاق، وتحرّض على العنف في حال تناولها قضايا حسّاسة من زاوية اجتماعية وسياسية وثقافية أحادية. تتوافر الفرصة لتحويل المدرسة إلى مكان للحوار والمناهج إلى محرك للحس النقدي للطلبة ومساعداً على التعرف على مختلف الثقافات ووجهات النظر وتكسيهم القدرة على تحليل ما يتلقونه من معلومات.

11 الميثاق الأفريقي لحقوق ورفاهية الطفل-المادة (11) الفقرة (2) (أ+د).

<http://hrlibrary.umn.edu/arab/afri-child-charter.html>

12 المصدر السابق-المادة (11) الفقرة (4)



من خلال تجارب مختلفة للعديد من الدول التي عاشت صراعات مسلحة، يلاحظ أن أكثر ما يثير الضجيج في سياق إعداد المناهج الدراسية هي لغة التدريس و مادتي الدين والتاريخ.

1. اعتمد برنامج التدريس في غواتيمالا على اللغة الإسبانية وعلى منهاج أحادي الثقافة، وبعد توقيع اتفاق السلام عام 1996 تم اعتماد التعليم ثنائي اللغة، ووضع التعليم ضمن الحوار المتعلق ببناء السلام. قامت بهذه الخطوات لجنة تشكلت عام 1997 قادها سياسيون وممثلون عن السكان الأصليين، حيث عملت على أن يلعب نظام التعليم دوراً في تعزيز الشراكة بين الثقافات المتنوعة<sup>13</sup>.

2. لم تُدرّس ألمانيا والولايات المتحدة الأمريكية تاريخ محرقة اليهود إلا بعد مرور عقدين من انتهاء الحرب العالمية الثانية.

3. استغرقت كمبوديا عقدين لإعداد منهاج دراسي يتضمن مادة تاريخ مناسبة وذات مصداقية يهدف إلى تجنب إعادة ارتكاب انتهاكات حقوق الإنسان، وتحقيق المصالحة، وفهم الأسباب التاريخية التي تمهد للجيل الجديد بناء دولة السلام والديمقراطية.

4. تُنظّم الدروس الدينية في فرنسا خارج المدارس، تجنّباً لتقسيم الطلبة وأسرههم على أساس ديني، وتأكيداً على حيادية العملية التعليمية. ويمنح التلاميذ يوماً في الأسبوع دون دروس لتمكين من يرغب منهم بحضور دروس دينية خارج المدرسة كما اعتمدت وزارة التربية الفرنسية إصلاحات لبرامجها التعليمية الرسمية شملت انفتاحاً على الدين الإسلامي في برامج التاريخ، وتخصيص حصص لتعريف الشباب الفرنسي على الإسلام تفادياً للأحكام المسيّقة<sup>14</sup>.

13 تقرير الأزمة الخفية.. النزاعات المسلحة والتعليم. ص (241).

[https://unesdoc.unesco.org/ark:/48223/pf0000190743\\_ara](https://unesdoc.unesco.org/ark:/48223/pf0000190743_ara)

14 كيف ندرس الأديان؟-تقرير الفيلسوف ريجيس دوبريه

<https://hekmah.org/%D9%83%D9%8A%D9%81-%D9%86%D8%AF%D8%B1%D9%91%D8%B3-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%AF%D9%8A%D8%A7%D9%86%D8%9F-%D8%B1%D9%8A%D8%AC%D9%8A%D8%B3-%D8%AF%D9%88%D8%A8%D8%B1%D9%8A%D9%87>

5. يهدف التعليم في البوسنة والهرسك بعد انتهاء الحرب إلى توعية الفرد بهويته الثقافية وتراثه بما يتناسب مع الإرث الحضاري، وإلى العمل على التعامل مع الآخر المختلف مع ضرورة التفاهم والتعاون بين المجتمعات المختلفة المحلية وفي العالم<sup>15</sup>.

6. عملت مفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين على تنفيذ برنامج في مخيمات للاجئين في كينيا شملت عشرات الآلاف من الأطفال والشباب، وتضمن دعوة إلى حل النزاعات عن طريق الحوار. وقد أظهر تقييماً للبرنامج نتائج حقيقية على صعيد بناء السلام والحوار المجتمعي. تم تكييف البرنامج لتنفيذه في مخيمات أخرى في كل من أوغندا وجنوب السودان<sup>16</sup>.

7. شملت مبادرات إصلاح نظام التعليم في إيرلندا-والتي بدأ بعضها حتى قبل اتفاق الجمعة العظيمة<sup>17</sup>- تمويلاً منصفاً للمدارس، وزيادة التواصل بين الجماعات المختلفة عن طريق برامج نقدتها المعلمون وضمت شباباً من مختلف المكونات، ومبادرات إنشاء مدارس موحدة تضمن تلاميذ من أكبر جماعتين دينيتين والتي مولت حكومياً فيما بعد، تغيير المناهج وتدرّيس التاريخ من وجهات نظر متعدّدة، تركيز المنهاج بشكل أكبر على المساواة وحقوق الإنسان<sup>18</sup>.

15 تقرير الأمانة الخفية.. النزاعات المسلحة والتعليم. ص (244).

16 المصدر السابق. ص (246)

17 أنهى الاتفاق الذي عقد عام 1998 ثلاثة عقود من النزاع الدامي في البلاد.

18 تقرير الأمانة الخفية.. النزاعات المسلحة والتعليم. ص (247)

## التوصيات

إن الصعوبة الأبرز تكمن في تحويل ما يتم إنجازه من المناهج إلى عمل ملموس ومؤثر يعكس الطموحات على أرض الواقع خاصة في بلداننا التي لعبت فيها المناهج التعليمية دوراً في التحريض وزادت من التفوق الطائفي والمذهبي والاثني.

توصي منظمة العدالة من أجل الحياة بما يتعلق بمستقبل التعليم وتصميم المناهج الدراسية:

1. احترام مبادئ حقوق الإنسان والاتفاقيات والمعاهدات الدولية المتعلقة بالتعليم كأساس للمناهج المستقبلية.
2. أن يكون الهدف من التعليم تعزيز الحريات الأساسية، ونبذ الكراهية، والقبول بالاختلاف والتعددية.
3. تقييم السياسات التعليمية على مدى العقود السابقة لإنتاج مناهج وسياسات أكثر نضجاً وقبولاً.
4. فتح حوار مجتمعي حول المناهج يشارك فيه أولياء الأمور والطلبة والمعلمين والمؤسسات التعليمية.
5. أن تعمل وكالات الأمم المتحدة المختصة على دعم برامج تعليمية تراعي ظروف النزاع، وتؤكد على قيم التسامح وبناء السلام والمواطنة.
6. استمرار وتعزيز الجهود لتوفير التعليم في جميع المناطق السورية، وتمكين المزيد من التلاميذ، سواء الجدد أو المنقطعين، من حقهم في تلقي التعليم.
7. أن تكون المناهج التعليمية مراعية للثقافات المحلية، وتوصّل علاقات مستقبلية بناءة بين كافة المكونات السورية.
8. أن يكون للمرأة الحق الكامل في الحصول على فرص التعليم والوصول إليه.